أن الحمار هو الذي حمل لنا السعادة، وبكل معاني النبل والرحمة والحكمة والكرامة نكتب له الشهادة. وإذا أراد هجر بلاد الشرق المتخلف فإننا على الرحب والسعة نستقبله في أوربا أو أمريكا دون عناء أو تكلف ليستجم ويستحم ويعيش حياته بلا ممنوع، ويمكنه ممارسةBusiness والدخول في أي مشروع. وبذلك يعيش الحمار سعيد ومتهني، ويمكنه كذلك تعلم الرسم والحياكة وإذا أراد يلحن ويغني.

وقابل الحضور كلمة القس بالتهليل والتصفيق، وهمس بعضهم في الآذان (هذا كلام لا يخلو من الادعاء الكاذب الذي لا ينطق به إلا الصفيق)، ففطن جحا إلى ذلك الغمز واللمز فرفع الجلسات، بتناول الطعام والشايات، والقهوات والباتيهات والكيكات، والعصائر وما يسكب في الكاسات.

وسوف نكمل الأحداث في الليالي المقبلة المباركات.

□□□

كلمة ممثلي الفكر الإسلامي

وقف جحا أثناء الاستراحة يتفقد الوفود بعينيه، فلمح جمهرة علماء المسلمين يتوجهون إليه، ووقف كبيرهم يضبط عمامته بأناة ووقار، وأشار إلى معيته هيا وكفى فليس هناك وقت للتنضر أو الهزار، واسمعوا وعوا: المجال لا يتسع للحديث عن الفرقة الناجية أو الباغية فاحزموا أمركم فممثلنا يجب أن يكون من المؤولين، والعارفين بأصول الشرع المجتهدين، فليس هناك مجال لكلام الظاهرية، أو مماحاكات الباطنية، ولا الفرق الشيعية أو الإباضية، ولا شطحات الصوفية.

فقال جحا: أحسنت يا شيخ مجاهد، وأنا بدوري رفضت اشتراك الفرق الجانحة، والجماعات الشاطحة، فجلستنا و إن كانت حول مناقب الحمار، فلا ننسى أنها تتناول بعض أمور العقيدة والخطأ في تأويلها لا يسلم من الشرار.

فانبرى الشيخ حسن أبو الوليد الحنفي فقال: أنا لها بمشيئة الستار، سأفسر وسوف أؤول وأوضح وأبرر وأدافع عن الكتاب الشريف وسيرة النبي المختار، فكبر المعممون وبارك الوافدون. واعتلا الشيخ حسن المنصة، فبسمل وصلى وحي الحضور وابتسم لكل الوفود واستهل بقوله أن للموضوع أصل وقصة.

جاء الإسلام ليخرج الناس من الجهالة و يثني على العوائد الصالحة، و يتمم الشرائع الشارحة، لعقيدة التوحيد والفضائل الأخلاقية المرجحة، والأعمال التي تقود إلى الجنة، وتحسن الخواتيم وتجعلها مفرحة، لذلك كله نحن نؤ يد ما جاء في التوارة عن أخبار الحمار. حقاً هو مطية الأنبياء، ووفائه وصبره يرفعه من بين الدواب إلى مصاف الفضلاء، وقد هداه الله فجعله يسير بسجيته، وقضائه، غير المغضوب عليه من الإنس والجن اللذين جحدوا عطيته. أما حمار ابن مريم فقد باركه الرب، وأعانه في سفره من الناصرة إلى مصر الكنانة في رحلة قدسية لم يلاقي فيها إلا كل عطف وحب. أما ما ذكر في الأناجيل عن الأتان والجحش فقد جاء على نحو محمود، إذ أرسل المسيح بعض رفاقه لمن عندهم مطلبه فأعطوهم بغيتهم بكل ود وجود، وقد كذبت بذلك ادعاءات اليهود.

أما القرآن فقد ذكر حبيبنا الحمار في بضع آيات إذ وصفه في سورة البقرة بأنه آية و إعجاز تؤكد قدرة الخلاق، على الموت والإحياء وتوزيع الأرزاق.

وذكره في سورة النحل بأنه زينة شأن أفضل الدواب التي تركب، فطهره بذلك من القدح والقبح وكرمه ووضعه في مقام الحلي والجمال والثروة التي تزيد وتُسلب. ولا يعاب على صديقنا الحمار صوته المنكر فقد صدق لقمان، والمقصود ليس تحقيراً كما تعتقد بعض الأذهان، والحق أنه وصف لمهمة، جدة وتحتاج لتقوى وذمة، ألا وهي زجر الشياطين، اللذين لا يدركهم العقلاء الراشدين. فجاء في الأثر أن نهيقه يصدر عندما يرى الأنفس النجسة من المرضى المخفيين، فيخيفهم بصوته و ينبه الغافلين. ولا يعتقد البعض أن ما جاء في سورة الجمعة في معرض الأمثال، يعني إهانة الحمار ووصفه بالجهل وسوء المئال، والحق أن التفسير الصحيح، يحتاج إلى توضيح: أن أسفار التوراة لا يعيها إلا المكلَف، ولا يسأل عنها إلا من عرفها وأضحت بالنسبة له شيئاً معرّف، فلا مجال إذًا للإنقاص من قدر الحمار، فالأسفار لم تكتب له وهو لم يدّعي كذلك أنه من الأحبار. فما أكثر البلهاء اللذين يحملون ما لا يفقهون من الإنسيين، فهل نصفهم بأنهم حمير غير آدميين؟!

أما مقام الحمار في الحديث والسيرة، فحدث ولا حرج فصورته جميلة، وسيرته منيرة، فقد حلت عليه بركة النبي يوما كان رضيعاً تحمله حليمة، ألم يكن حمارها أعرج، وقيل كان هزيلاً ونحيفاً وأمرض وأصنج، وعندما حُمل المصطفي في مهده، حلت عليه نعمة ربه، وأصبح عفياً ونشطياً وعملاقاً، يطوى الأرض طياً بين النوق والأفراس سباقاً.

ألم يمتطيه النبي بعد هجرته، وكان يصاحبه في غداته وروحته، وكان من بين الدواب ببركة المصطفى مسرور، أسود الشعر، وأبيض القلب وسماه النبي يعفور، ونسجت حوله الأساطير، التي لا سند لها ولا تبرير؛ وذلك

لأن النبي كرمه، وبيده الشريفة أكله وشربه، وأمر الناس برحمته والعطف عليه فباتت محبة الحمار سنة، ومن يحرص عليها أكمل دينه ومثواه إن شاء الله في الجنة.

وانبرى أحد الحضور أنعم به حمار عاش في معية الأنبياء، ولم يؤذيه إلا الأسافل والأغبياء، والإحسان إليه من تمام الدين، وهل هذا الفضل بعده فضل يا مستمعين أصدقكم القول لولا تهكم الأشرار، لتمنيت أن أكون حمار.

فضحك الحضور، وانصرفوا جميعاً متصافحين دون حقد أو غرور. وللحديث بقية في ليالي رمضان الهنية.

□□□

بين الفكر والواقع

لم يكن في مقدور جحا إلا الوفاء بالعهد والصدق في الوعد وإكمال ما بدأه في تقريظ صديقه الحمار، وذلك لرد اعتباره وتبرئته من صفات الغباء والإهمال والحمق والكسل وغير ذلك من خصال مذمومة أطلقها البشر على أراذلهم، وزجوا باسمه الكريم في موضوعات لا تليق ومنها الصدر يضيق. ومن ثم كان من الضروري على جحا إبراز مناقبه وإحصاء فضائله على أصحاب المنابر والأقلام من النوابه والنوابغ والأعلام، فقد عقد جلسات أربعة حول مكانة أبوالصابرين في كتابات أرباب السير عن الأنبياء والمصلحين ورجال الدين - في شهر رمضان الماضي -، وأشار في تزييله للجلسة الأخيرة على اعتزامه عقد أربع جلسات أخرى عن مكانة الحمار في عيون المثقفين والحكماء والفلاسفة وأكابر الأخيار.